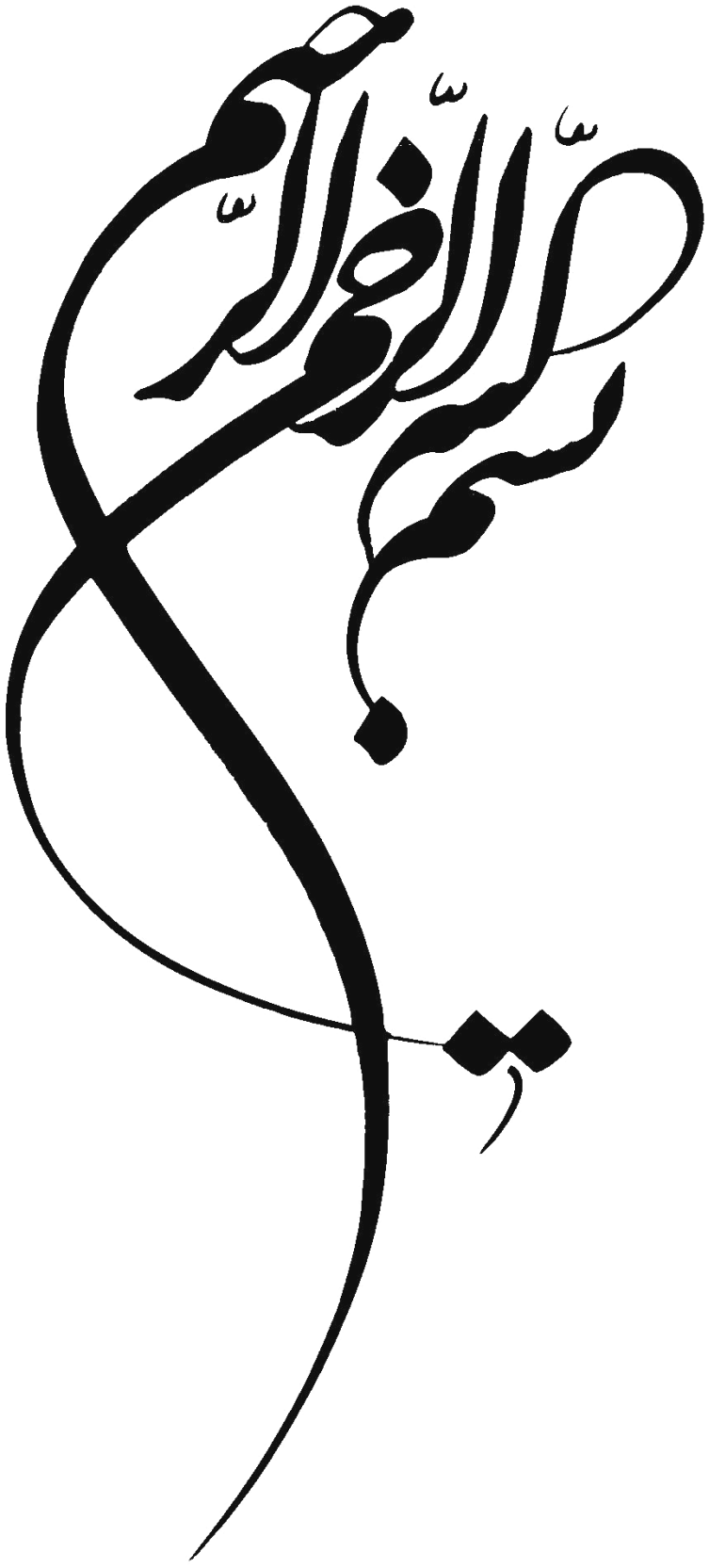
بسم الله الرحمن الرحیم

كلية الدكتور علي شريعتي للآداب و العلوم الإنسانية

الحداثة
في شعر
مظفر النوّاب

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة العربيّة و آدابها

الأستاذ المشرف

د. مرضية آباد

الأستاذ المساعد : د. عبّاس عرب

الأستاذ المساعد : د. حسين ناظري

الإعداد : بلاسم محسني

صيف : ١٣٩٠هـ ش/ ٢٠١١ م

إهداء

إلى والديّ

جدّتي

جدّي

عبّود السلطان

بن ظاهر

الحاج حسن

العيداني

العنزي

شكر و تقدير

خالص الشكر و التقدير و العرفان لوالديّ أهلي و اخواني و جدّي و جدّتي رحمها الله لما بذلوه من جهد خالص لله سبحانه و تعالى , ولا بدّ من وقفة إجلال و اكبار لأساتذتي : للأستاذة المشرفة الدكتورة آباد على علمها و على جميل صبرها و سعة صدرها على تلميذ لدود مشاكس فلها مني كل الشكر و التقدير و الشكر موصول إلى الاستاذ الدكتور المربّي الفاضل الذي تعلمت منه الكثير من علمه و خلقه و تواضعه الرفيع و حبّه و اخلاصه لعمله و تفانيه و تديّنه الأستاذ الدكتور ربّان هذا المنبر الأكاديمي الذي استحقّه عن جدارة بإدارته و حسن تصرفه و بعد نظره فله مني كل الشكر و التقدير و الإمتنان دونما تملق و لا مجاملة فلست ممن يطلق الحديث جزافاً و شكري و خالص ثنائي و تقديري لأستاذي الفاضل الدكتور عرب نقي السيرة و السريرة الذي غمرني بفضله و بعلمه فتعلمت منه الكثير اسأل الله أن يجعل سعيه و جهده في ميزان حسناته يوم لا ظلّ الاّ ظلّه سبحانه ، و الشكر و التقدير والإمتنان الى الرجل الشهم صاحب المواقف الحميدة و القرارات الرشيدة الرجل بمعنى الكلمة الاستاذ الدكتور ناظري و الشكر و الثناء و التقدير للاستاذة الدكتورة نجمة رجائي النجمة في سماء العلم و التواضع و الدين و الإلتزام و الإنسانية ثم الشكر و التقدير و العرفان للأستاذ أصيل النسب سليل الدوحة المحمّديّة على مواقفه النبيلة منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه هذا الصرح الأكاديمي فكان الأستاذ و الأخ و الصديق الاستاذ الدكتور سيّدي . و أخيراً و ليس آخراً الشكر و التقدير لكل اصدقائي الذين وقفوا معي و ساهموا في نجاحي و شكراً للإخوة و الأخوات الطلاب الذي حضروا هذه الجلسة فشرفونا بقدموهم و كل الشكر و التقدير لجميع كوادر الكلية من ادارة و مكتبة على تعاونهم و مساعدتهم اياي ، و لا أنسى هنا الدكتور نگارش الذي رحل عنا قبل سنة في مثل هذه الأيام فخسرت بفقده انسانا و صديقا و أستاذا و ملاذاً و أخاً تغمده الله بواسع مغفرته و أسكنه فسيح جنّاته . و عوداً على بدء لا بدّ من كلمة شكر و عرفان بحقّ الأستاذ الدكتور عبداللّهي لما بذل من جهد أثناء تولّيه رئاسة القسم فله و لأستاذتي جميعاً كلّ الشكر و التقدير.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد و آل محمد و بعد :

فهذه الرسالة بعنوان " الحداثة في شعر مظفر النواب "محاولة لدراسة جوانب من تجليات الحداثة في شعر مظفر النواب دراسة تحليلية. وتعود صلتي بالموضوع منذ مرحلة البكالوريوس حيث تعرفت على الشاعر عن طريق صديقي السيد نجم بيت كنعان الذي كان يردد بعض أشعاره و من ثم في مرحلة الدراسات العليا أثناء اعداد رسالة الماجستير توسعت معرفتي بالشعراء المعاصرين فقررت أن تكون أطروحتي في مرحلة الدكتوراه دراسة الشعر المعاصر، و ذلك بعد أن تعرضت لدراسة السخرية في الشعر العراقي المعاصر في مرحلة الماجستير. وذلك لتشكيل نوع من شمولية الدراسة النقدية لمن يرغب بأن يضع قدميه على طريق النقد للأدب الحديث . وكان أن الحّت عليّ تجربتي السابقة طرح اسم مظفر النواب بوصفه شاعراً عراقياً يمثل مرحلة ما بعد جيل الرواد. فاستوقفني الاسم بشيء من الحيرة لعدم وجود الدراسات الكافية عن الشاعر، إلا أن الفضل يعود لأستاذتي الدكتورة آباد في تشجيعي على الاستمرار في هذا البحث للتعرف على شاعر لم يأخذ حقه من الدراسة، وعلى نتاجه الغزير من خلال دراسته دراسة تحليلية. و بناء على أن شعره لم يتم دراسته أكاديمياً فقد أخترته موضوعاً لدراستي هذه .

و كان لابد من طرح فرضيات تقتضيها الدراسة حيث أنه عاش في أسرة أستقراطية متنعمة مرفهة تتذوق الفن و تمارسه بالإضافة الى ما يحمله لقبه (النواب) من قداسة كونه ينتمي الى الإمام موسى الكاظم (ع) فكان النضال و التمرّد ضد الظلم من سماته الاساسية ، و كان قد عاشت أسرته على ضفاف نهر دجلة حيث الماء و الخضرة و حسان الوجوه ، و من ثم تنقله متشرّدا في مستنقعات جنوب العراق حيث ما يسمى بالأهوار التي كان يعتقد في الأساطير البابلية القديمة أنها جنة عدن و التي جاء ذكرها ايضاً في القرآن الكريم حيث الطير و الاسماك و الماء و البيوت العائمة المصنوعة من القصب و البردي و ترحاله بعد ذلك الى مختلف اصقاع العالم و تنقله بين المدن ، و لا ننسى كتب التراث و القرآن الكريم اذ كان يتردد الى الكتاب أثناء العطلة الصيفية في صباه .

و تواجه الباحث اسئلة عديدة حول ذلك ؛ مثلا ماهو تأثير الطبيعة و البيئة التي عاشها في شعره ؟ وما تأثير التراث و الموسيقى في لغته الشعرية و البحور التي وظفها و ما تأثير فن الرسم في صوره الشعرية خاصة إذا علمنا أنه يعدّ رسّاماً ماهراً تعلم فن الرسم على يد أستاذ فن الرسم في العراق الأستاذ حافظ الدروبي .

الجواب أن كل ذلك ذلك كان له تأثير بالغ في شعره حيث توصلنا من خلال هذه الدراسة أن الشاعر يلتقط التفاصيل من مشاهد الحياة اليومية بخبرة مصور فوتوغرافي لا يطلب غير تجميد المشهد ولحظته أملاً في مراجعته واستنطاقه في وقت تالٍ، ثم يخرج منها إلى الذهني المجرد مستدعياً ذخيرته الثقافية الخالصة. يحاور الرموز المحلية والشعبية في مقهى مهجور، وما يلبث أن يسقط الفواصل الجغرافية والثقافية بينها وبين رموز مستعارة من ثقافات ومدن أخرى بعيدة، يتوزع بين النخلة المنتصبة على ضفاف دجلة بكل حضورها الحسيّ والوجداني، وبين الأفكار القادمة من الكتب الأجنبية المصفوفة على منضدة في غرفة صغيرة منعزلة. يلغي الحدود بين الحواس حتى نرى لون الصوت ونسمع صوت اللون.

يوظف القيم والأشكال البصرية على الصفحة حتى تتداخل سيمياء الفنون التشكيلية وسيمياء الفن الشعري.

وبذلك كله يستعصي على التصنيف، ويتماهى تجواله في المدن مع تجواله في الأشكال المتنافرة. ولعل هذا ما أراده. فكانت لغته الشعرية من النوع السهل الممتنع ، لغة بسيطة حية فيها روح العصر و فخامة و جزالة القديم و هنا نستشهد ببعض النقاد القلائل الذين تعرضوا لمقاطع من قصائده مثل الناقد وفيق خنسة حيث يقول : " و في قصيدته المعروفة على نطاق واسع فى الوطن العربي (وتريات ليلية) دفع اتجاه القصيدة الهاتفة الى منتهاها ، و هذا برأيي وضح حدّاً للتسابق في هذا المضمار ، إذ اقتنع الجميع أن لا مجال لمباراته ، أو مجاراته " (١٩٨٥ : ٣٩) و في ذات دراسته بعنوان " جدل الحداثة في الشعر " يضيف " إن وتريات ليلية نهاية منهج شعري و قمته بآن واحد ، ولكن هذا الإتجاه خرّب جمالية القصيدة ، و هدر الكثير من موهبة الشاعر دون مقابل " (٤٣) و يقصد من هذا نقد لغته الشعرية التي تهبط دون المستوى المطلوب حيث يميل خطابه الى المباشرة و المفردات القبيحة التي يأبى الذوق السليم تقبلها ، و نحن في طريقنا لسبر العالم

الشعري للنواب واجهنا عراقيل عديدة ؛ والمهمة لم تكن سهلة فالبحث عن ما يميز هذا الشاعر عن غيره من الشعراء، وعن ما يميز شعره عن غيره أمر ليس بالهين، وبخاصة إذا عرفنا الرغبة بتقديم دراسة جادة ترسم الملامح الفنية لشاعر غزير الإنتاج لم يدرس – في حدود علمي – والسبب الآخر أن مظفر النواب يذهب بعيداً في شعره فيراوغ مع مطلق التجريب، عدا قلة الدراسات السابقة التي حظيت بدراسة هذا الشاعر، إذ صدرت بعض الدراسات منها: دراسة باقر ياسين بعنوان "مظفر النواب حياته و شعره " تناولت إنتاج مظفر النواب بشيء من النقد و التحليل العام . وتعرض محمد طالب الأسدي كتابه "بناء السفينة " لبعض الجوانب الفنية في أعماله بشكل انتقائي . وكذلك هاني الحصني في كتابه " مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية " و الذي شمل نبذة عن حياته و مقابلات صحفية مع الشاعر، و تعرضت أحلام يحيى في كتابها "مظفر النواب سجين الغربة و الإغتراب" الى أهم ملامح الشاعر الفنية لم تزد عما ذكره باقر ياسين في كتابه آنف الذكر بإضافة الى مقابلات مع الشاعر .. وغير ذلك كان عبارة عن مقالات صحفية ودراسات قصيرة تناولت بعض قصائده بالتحليل دون ربطها بالمنظور العام لإنتاج مظفر النواب وتطوره.

كان ذلك مما دفعني وأثار حماسي للبحث في أعمال شاعر يبدو للوهلة الأولى أنه مغمور لسببين: شح الدراسات كما بينت سابقاً، وموقفه الأيديولوجي و السياسي الذي لم يتخل عنه إلى يومنا هذا ، مما حدا بالباحثين و النقاد أن يتجنبوا الخوض في شعره .

ولما كانت الدراسة التحليلية تستدعي أبعاد النص الشعري واستقراء ديوانه الشعري بالكامل من كل الجوانب، فقد ارتأيت أن أفيد من غير منهج، وبخاصة إذا عرفنا أنه شاعر تجريبي، وذلك أن منهجاً واحداً – في ما أعتقد- قاصر عن الإحاطة بهذه الدراسة الشاملة. و هذا ما دفعني لاستقراء المناهج النقدية ، فساعدتني تلك المناهج على استنطاق النصوص من خلال الإفادة من المناهج الأسلوبية، كما أفدتُ من معطيات علم النفس والمنهج التاريخي وغيرها من المناهج السياقية وغير السياقية.

واستعنت على التحليل والتطبيق بمقدمات نظرية موجزة لكل مبحث من المباحث، فاعتمدت استقراء أهم الدراسات السابقة، محاولة التوفيق بين الآراء النظرية والآراء التي خلصت إليها ما أمكنني ذلك.

ولما كانت هذه الدراسة شاملة بمفهومها التحليلي لشعره، وبسبب غزارة الإنتاج الشعري لشاعر مطلق التجريب، كان لا بد من التكثيف والاختزال فاضطر الكاتب الى دراسة بعض مظاهر الحداثة في شعره . و هنا لا بدّ من بيان الهيكل التنظيمي الذي قامت عليه الدراسة. إذ تتكون من تمهيد و ثلاثة أبواب وخاتمة.

لقد سبق التمهيد الأبواب الثلاثة ، وتناولت فيه نبذة عن الحداثة و ترجمة حياة مظفر النوّاب (مولده ونشأته وأهم العوامل التي ساهمت في تكوين ثقافته) ثم تعرضت لآثاره الشعرية وركزت على الجوانب التي تخدم دراستي في حياته، وتعرضت لآرائه النقدية ورؤيته الفكرية .

وحاولت في الباب الأول دراسة الصورة الشعرية من خلال التعرف إلى أهم مصادرها، ودراسة أنماط بنائها. ففرقت بين أنماط الصورة المفردة ثم وضحت مفهوم الصورة المركبة وطريقة بنائها من خلال أساليب عدة منها: التوليد والتراكم والمفارقة التصويرية والصورة اللونية والمعادل الموضوعي. والصورة الكلية، مبيناً دورها الدلالي والجمالي الخاص، فتناولت أبرز أنماطها كالسريالية والانتشارية، والمشهد (اللقطة السينمائية والتفاصيل والتشكيلية).

أما الباب الثاني فقد عمدت فيه دراسة اللغة فأبرزت معجمه الشعري المنتظم من خلال لغة الحياة اليومية وما تشتمل عليه من ألفاظ عامية وألفاظ حضارة. ثم عرضت للحقول الدلالية بشيء من التفصيل في حقل اللون، والشجر والنبات، والماء، والحيوان، والضياء والعتمة، والسفر. ثم أوليت عناية خاصة بجلمة من الظواهر الأسلوبية التي برزت في شعر مظفر النواب وكان أهمها: التكرار وتناولت منه تكرار الحرف والألفاظ والعبارات، والحذف وبينت القيمة الأسلوبية للمزاوجات المجازية .

وتناولت في هذا الفصل التناص فعرضت إلى طبيعة العلاقة التي تربط النص الحاضر بالنصوص الغائبة عنه المتوزعة في نصوص تراثية وأسطورية وأدبية.

أما الباب الثالث فيدور حول الإيقاع إذ درست الإيقاع الخارجي وما فيه من تشكيل موسيقي للأوزان. والإيقاع الداخلي، فأوليت عناية خاصة بتكرار الأصوات والقافية الداخلية والتجنيس والتناظر ثم بينت دورها المتكامل في خلق النموذج الشعري المناسب للحالة النفسية. ودرست أبرز الظواهر الإيقاعية التي تتمثل بمزج الأوزان والتدوير، وألمحت إلى ظاهرة التوتر الموسيقي.

وجاءت الخاتمة لتلخص ما توصلت إليه من نتائج لعلها تفتح آفاقاً جديدة لدارس آخر يكمل ما لم يتم من الدراسة، ويتوسع في بعض المباحث التي اتسمت بالاختزال.

أما مصادر الدراسة فقد تنوعت تبعاً لتنوع القضايا المدروسة، وكانت أعمال الشاعر الشعرية المنهل الرئيس الذي استقيت منه مادة الدراسة. وأود الإشارة إلى أنني نظراً لشيوع ظاهرة التدوير اضطررت في بعض الأحيان إلى اجتزاء النصوص الشعرية حتى لا نقع في الإطالة المملة، فقصرت الشاهد على الأسطر الدالة في السياق المناسب.

وكان للكثير من كتب النقد والدراسات الحديثة التي تناولت الشعر العربي المعاصر دور فاعل ساعدني في استجلاء الصورة حول التنظير لقضايا الشعر المعاصر، كما استعنت بالدوريات المحكمة وأبرزها مجلة فصول، وكتابات معاصرة، وعالم الفكر، وإبداع، والأقلام، والآداب وغيرها.

وبعد، فلقد حاولت إنجاز دراسة شاملة لأعمال مظفّر النوّاب الشعريّة. ولا يمكن ادعاء شيء آخر غير بذل الجهد ومحاولة البحث، مع ما رافق ذلك من مشكلات شخصية و كسل في أحيان كثيرة من قبل الباحث نتيجة ظروف خاصة مرّ بها الباحث بالإضافة الى شخصيته الحساّسة استدعت وقتاً طويلاً للتغلب عليها في غياب الحافز للمواصلة المستمرة لمتابعة البحث الّا أن الله سبحانه منّ عليّ بأساتذة أصحاب علم و خلق رفيع قدروا الظروف و تحلّوا بالصبر الجميل . مع هذا فقد بذلت ما استطعت من جهد .

والله ولي التوفيق

بلاسم محسني

١٣٩٠/٦/١ هـ ش

المحتويات

الصفحة

المقدمة ....

التمهيد ١٦

الباب الأول: الصورة الشعرية ٢٧

الفصل الأول: مصادر الصورة ٢٩

أ- المصادر الثقافية ٣١

ب- المؤثرات الأجنبية ٣٤

جـ- البيئة/ المكان ٣٧

د- البيئة/ الطبيعة ٤٢

هـ- الفن التشكيلي ٤٧

الفصل الثاني: أساليب بناء الصورة ٤٩

- أنماط الصورة ٤٩

أولاً: الصورة المفردة ٤٩

أ- تراسل الحواس..... ٤٩

ب- التشبيه والوصف المباشر ٥١

جـ- تبادل المدركات ٥٧

ثانياً: الصورة المركبة ٦٠

أ- التوليد ٦١

ب- التراكم ٦٣

جـ- المعادل الموضوعي ٦٤

د- المفارقة التصويرية ٦٧

هـ- الصورة اللونية ٧٠

ثالثاً: الصورة الكلية ٧٥

أ- الصورة السريالية ٧٦
ب- الصورة الانتشارية ٧٩
جـ- الصورة المشهد ٨١
١- الصورة اللقطة السينمائية ٨٢
٢- الصورة التشكيلية ٨٤
- الصورة التفصيلية ٨٦
الباب الثاني : اللغة ٩٢
الفصل الأول: المعجم الشعري ٩٧
- لغة الحياة اليومية ٩٧
أ- الألفاظ العامية ٩٨
ب- ألفاظ الحضارة ١٠١
الفصل الثاني: الحقول الدلالية ١٠٦
الفصل الثالث: ظواهر أسلوبية ١٢٤
أولاً: التكرار ١٢٥
أ- تكرار الحرف ١٢٥
ب- تكرار الألفاظ ١٢٦
جـ- تكرار التراكيب ١٣٦
ثانياً: الحذف ١٤١
أ- الحذف النحوي والبلاغي. ١٤٢
ب- الصمت المنقوط ١٤٥
ثالثاً: القيمة الأسلوبية في المزاوجات المجازية ١٥٠
الفصل الرابع: التناص ١٥٦
أ- التناص الأسطوري ١٥٧
ب- الموروث الديني ١٦٠

جـ- التناص التاريخي ١٦٥
د- التراث الشعبي ١٦٧
هـ- التناص الأدبي ١٦٩
الباب الثالث : الإيقاع ١٧١
الفصل الأول
الإيقاع الخارجي ١٧٢
أولاً : الوزن ١٧٢
أ- القصيدة العمودية ١٧٢
ب- قصيدة التفعيلة ١٧٣
جـ- ظواهر إيقاعية ١٨٠
١- مزج الأوزان ١٨٤
٢- التدوير ١٨٦
٣- التوتر الموسيقي ١٩٠
ثانياً: القافية ١٩٢
أ- القافية الموحدة ١٩٣
ب- القافية المتوالية والمتناوبة ١٩٤
جـ- القافية المتواطئة/ المركبة ١٩٦
الفصل الثاني: الإيقاع الداخلي ٢٠١
أ- تكرار الأصوات ٢٠٢
ب- القافية الداخلية ٢١٠
جـ- التجنيس ٢١٣
د- التوازي/ التناظر ٢١٤
الخاتمة ٢١٩
المصادر والمراجع ٢٢١

التمهيد

ليست الحداثة مفهوماً سوسيولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً . إنها نمط في التحضر و التمدن يتجلّى في الدولة الحديثة و التقنيات و الفنون و الأخلاق و العادات و الأفكار الحديثة ، إنها نمط سلوكي يمارس في الحياة اليومية ، له سماته و منطقه ، و له قيمته الضدية ، فهو يعكس القديم و التقليدي من جهة و هو مكمل له من جهة أخرى و ينادي بالجدة و التجديد و الإبتكار ت لما سبقه تارة أخرى . (شحيّد ؛ قصاب ، ٢٠٠٥ : ٢١)

" اتفق مؤرخو الحداثة الغربية modernism على أنها تبدأ بعام ١٨٩٠ م و على وجه التقريب " (السعافين ، ١٩٩٠ : ٦٢٠) و يلاحظ (بودريار) في الموسوعة العالمية أن الكتب المدرسية في اوروبا تصنف الأزمنة الحديثة انطلاقاً من عام ١٤٩٠ م (اكتشاف كريستوف كولومبوس لأمريكا) و من اختراع المطبعة و اكتشافات (غاليلية) الفلكية . أما في الفنون و الأدب فقد ارتبطت بذلك العصر المرير الذي نشب في القرن الابع عشر الفرنسي بين السلفيين و العصريين أو بين أنصار القديم و أنصار الحديث ، و تجلت الحداثة الدينية في اوروبا المسيحية في حركة الإصلاح البروتسنانتي مع (لوتير) و ارتكاساته الكاثوليكية . ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية اضطرت بسبب الانتقادات البروتستانية الى بذل الجهود تدريجياً للخروج من عقلية القرون الوسطى و تأسيس نهضة دينية ، أما البلدان التي لم تعرف هذه القرون الظلامية ، كالولايات المتحدة الأمريكية ، فلا يتكلم الباحثون عن تأريخ للحداثة فيها . (شحيّد و قصاب : ٢١-٢٢) و في القرنين السابع عشر و الثامن عشر تعزز بنيان الحداثة بسبب تجذر العقلانية في الفكر الاوروبي ، مع ديكارت و كانط و فلاسفة عصر التنوير موسوعة ديدرو . و هيمنت الليبرالية على الحراك السياسي و الإجتماعي . و تمّ إرساء أسس الدولة البرجوازية الحديثة مع الثورة الفرنسية التي حاولت تنظيم علاقات جديدة في المجتمع و في هرم الدولة ، و نظراً للثورة الصناعية و نتائجها على

علاقات الإنتاج ، نشبت في أورروبا الحديثة إبان القرنين التاسع عشر و العشرين أزمات اجتماعية و طبقية كبرى آلت في النهاية الى نوع من العدالة الإجتماعية . (نفسه : ٢٢)

و قد اتخذت الحداثة أشكالاً عديدة " و بسبب التغيرات المتسارعة و الكبيرة في المجتمع ، ساد شعور بالقلق و بالخوف من المستقبل و بالتوتّر و عدم الإستقرار (نفسه : ٢٢) " لقد تضمنت الحداثة نوعاً من الإنقطاع (التاريخي أو الفجوة الواضحة مع الماضي ، فبدا الحداثيون مع كل تجربة إنسانية ضد العادة ، و النظام المجرّد حتى ضد العقل نفسه (السعافين : ٦٢١) و " صار شعور الفرد بالزمن أكثر تنظيماً و دقّة و برمجة ، لا بل صار الزمن هاجساً مستمرّاً يتمثّل بمراقبة الساعة لا بدقائقها فقط بل بثوانيها . و الأمر اللافت أن التاريخ صار المرجعية الكبرى للحداثة . فنشأت فلسفة حديثة للتاريخ أرسى (هيغل) أسسها ، فتكاملت الحداثة مع التاريخ بحركاته الثلاث ، مع التركيز على الراهنية و المستقبلية " (شحيّد و قصاب : ٢٣)

و في الواقع اتسمت الحداثة بالقطيعة مع الماضي " فتجاوزت في الأدب مقولات الأنواع الأدبية ، و في الموسيقى تجاوزت الهارمونيا الكلاسيكيّة ، و في الفن تجاوزت قوانين المنظور التقليدية و الأكاديمية . و صار الإبتكار المتحرّر من كلّ قيد هو القاعدة الأولى " (نفسه : ٢٤)إذن " ظهرت تجليات الحداثة في مجالات مختلفة ؛ في الرغبة في المغايرة و التجاوز و الغوص و تهشيم القواعد و الأنظمة و في التفكّك و التناقض و تحطيم المنطق , الأخذ بمنطق بديل يتمثّل في الأحلام و الأساطير و نحوها " (السعافين : ٦٢٢)

و كغيرهم من الأمم تأثر العرب بحركة الحداثة و إن " كانت الحداثة في ديار العرب لم تنجح تماماً في العلمانية و الديمقراطية فإنها أخذت أبعاداً مميّزة في مجالات الأدب و الثقافة ." (شحيّد و قصاب : ٤٦) فأصبح الأدب العربي يضاهي الأدب الغربي في شتى المجالات منه .

و نشأ مثقفون عرب مستنيرون أتقنوا اللغات الاوروبية و تعرفوا على الحضارة الغربية و عل تجارب الشعر فيها ؛ و سادت ترجمة النظريات الشعرية في العالم و ترجمة عدد من دواوين الشعراء البارزين في الغرب و العالم على توسيع الآفاق الشعرية لدى الغرب و على إبداع شعر عربي جديد يتماشى مع روح العصر .

و نشأ التجديد الشعري على يد مجموعة من الشعراء العصيانيين الذين داروا في فلك بعض المجلّات ، ومنها (القيثارة) ١٩٦٤ م و (شعر) ١٩٥٧ م و (مواقف) ١٩٦٨ م (نفسه : ٤٧)

صحيح أن تغييراً جزئيًا كان قد أصاب الشعر العربي مع أبي تمّام ثمّ مع الأندلسيّين ثمّ مع مدرستي (الديوان) ١٩٢١ م و (أبولو) ١٩٣٢ م ، و لكن مجلة (شعر) و لفيف شعرائهم الذين قدموا مشروعاً حداثيّاً متماسكاً و مميّزاً للشعر العربي الحديث . (نفسه : ٤٧- ٤٨)

و برزت مجموعة من الشعراء الحداثيين توسطوا المسرح الشعريّ العربيّ و هم كثر على سبيل المثال لا الحصر ؛ أدونيس و محمود درويش و إنسي الحاج و جبرا إبراهيم جبرا و بدر شاكر السيّاب و عبد الوهاب البيّاتي و نزار قباني و يوسف الخال و محمّد الماغوط و نازك الملائكة و نزيه أبو عفش و خليل حاوي و صلاح عبد الصبور و محمّد الفيتوري و عبد العزيز المقالح و كمال خير بك و توفيق صايغ و يوسف و آخرون ..

و لا ننسى أن حداثة الشعر هي الأسبق في ولادتها من حداثة الأجناس الأدبية الأخرى و قد تجلت مظاهر الحداثة في الشعر العربي في الشكل و المضمون فبدأ الشعراء الحداثيون يتحررون من القوالب الشعرية القديمة فأول نصوصها (كوليرا نازك الملائكة و أزهار السياب) على اختلاف المؤرخين في أسبقية كل منهما . و الحداثة في الحقيقة فكر قبل ان تكون شكلاً فتجلت في نظرة الإنسان الى الموت و الحياة و الموقف من المدينة و الحب و المرأة و ...

مظفر النواب

النواب أحد أعلام الشعر العربي الحديث بدأ شاعراً باللهجة المحكية و هو يعّد من روّاد الشعر المحكيّ أصدر ديوان الريل و حمد و الذي يعد ثورة في الشعر الشعبي العراقي و ربّما العربي .

امتلك ناصية الشعر منذ نعومة أظفاره و هو يمتلك حسا فنيا و جماليا عاليين حيث بالاضافة الى موهبته الشعرية له باع في فن الرسم و الموسيقى و التأليف المسرحي و يمتاز بصوت جميل و ينحدر من عائلة شريفة يصل نسبها الى الامام موسى الكاظم (ع) . (يحيى ، ٢٠٠٥ : ١٣)

هاجرت هذه العائلة العريقة بعد استشهاد الإمام هي و من يلوذ بها إلى الهند باتجاه المقاطعات الشمالية : بنجاب و لكناو و كشمير ؛ و نيتجة لسمعتهم العلميّة و شرف نسبهم ، أصبحوا حكّاماً لتلك الولايات الهندية في مرحلة من المراحل . و بعد استيلاء الانجليز على الهند ، أبدت العائلة روح المقاومة و المعارضة المباشرة للاحتلال البريطاني الغاشم للهند , فاستاء الحاكم الانجليزي من موقف العائلة المعارض و المعادي للاحتلال و الهيمنة البريطانية. (النواب ، ٢٠٠٣ : ٤)

و بعد قمع الثورة الهندية الوطنية , عرض الإنجليز على وجهاء هذه العائلة النفي السياسي , على أن يختاروا الدولة التي تروق لهم , فاختاروا العراق .. و معهم ثرواتهم الكبيرة من ذهب و مجوهرات و تحف فنيّة نفيسة . (الخيّر , ٢٠٠١ م : ١٣)

" ولد الشاعر في بغداد الى جانب الكرخ, في جوّ ثقافي و موسيقي كان أفراد الأسرة يدأبون على تعاطيهما و بعد أن أتم دراسته الجامعية عيّن مدرّساً في إحدى المدارس المتوسطة , ولكنه فُصِل من وظيفته .. حيث كان النواب عضواً في الحزب الشيوعي العراقي .. و قد ساءت احوال الأسرة المادية .. و أصبح عاطلاً عن العمل ابتداءً من العام ١٩٥٥ م و حتى ١٩٥٨ م (قيام الثورة العراقية) حيث عيّن مفتشاً في مديريّة التفتيش الفني في وزارة التربية في بغداد.. و كان الصراع بين القوميين و الشيوعيين على أشدّه , فاضطر النوّاب إلى الهرب في عام ١٩٦٣ م , باتجاه إيران , لكنّه قبض عليه على الحدود و سلّم الى جهاز الأمن الإيراني (السافاك) حيث أُخضع لتعذيب وحشيّ و سُلِّم بعد ذلك للسلطات العراقية فحكم عليه بالإعدام , ثم خُفّف الحكم إلى المؤبّد، فسجن في "نقرة السلمان" . و من ثم في سجن "الحلة" .. لكنه استطاع الهرب من السجن مع مجموعة من المساجين ذوي الأحكام المؤبّدة بحفر خندق بالسكاكين . (نفسه : ٥)

و بقي إلى عام العام ١٩٦٨ متخفياً, فعاد الى وظيفته مدرساً بعد صدور العفو عن الهاربين . لكنه أعيد إلى السجن بعد حملة الاعتقالات التي شملت عدداً كبيراً من الشيوعيين . و بعد مدة

أفرج عنه و خرج من العراق و أخذ يتنقل في البلاد العربية إلى أن مُنِع من الدخول الى قسم كبير منها بالإضافة الى خارج الوطن العربي. (المعوش ، ٢٠٠٣ م : ٦٨٧-٦٨٨)

و نتيجة لهذا الوقف السياسي و النضالي الحافل الذي جسده الشاعر شعرا , لاحقت أعمالَه الشعريةَ لعنةُ الحكام فمنعت من التداول و أعرض عنه كبار النقاد و الأدباء , لكن شعره النضالي انتشر كالنار في الهشيم في كافة الدول العربية .

بلاضافة الى ذلك كان لنشأته الدينية الأثر البالغ في شعره و يبدو ان الشاعر قد تلقى تعليمه الاولي في الكتاتيب حيث تعلم قراءة القرآن و ربما حفظ الكثير من الآيات ، اثناء العطل الصيفية ، و بحكم مكانة أسرته الدينة كانت المواكب الحسينيّة و مشاهد الخيول و الأعلام بألوانها الزاهية تدخل في بيت والده الكبير ، فتشبّع بحبّ آل البيت و شخصية الإمام عليّ و الإمام الحسين عليهما السلام و قضية كربلاء بكل ما تحمله من معانى الإباء و الصمود ضدّ الطغاة و امتدت كل هذه القيم بما فيها التعاليم القرآنية التى تلقاها في صغره الى مناصرة حقوق جميع المحرومين و المستضعفين في مختلف البقاع العربية و الإسلامية و العالميّة دون تمييز . (يحيى ، ٢٠٠٥ : ١٣)

و أصبح التراث الديني و الشخصيّات التراثية و الأمكنة لها دور بارز في شعره ؛ و في هذا المقال يحاول الكاتب أن يسلط الضوء على جانب من هذا التأثير الذي انعكس في شعره , ألا و هو التناصّ القرآني , و يعدّ الشاعر في هذا المجال من رواد الشعراء الحداثيين الذين اختطوا و أصّلوا هذا الشعر الجديد الذي اختط تقنيات جديدة و صوراً و موسيقى و لغة و بنية جديدة من ضمنها التناص معتمداً على موهبة فذة و موقف أصيل تجاه قضايا الأمة الإسلامية و العربية , فأصبح شاعر القدس و الإنسانية و نصير كل الشعوب المضطهدة في العالم و نذر حياته مشرداً في أصقاع المعمورة الى أن استقر المقام به واضعاً عصاه في دمشق .

و أما في ما يتعلق بالشاعر موضوع بحثنا فهناك أول دراسة جادة عن مظفر النواب كتبها باقر ياسين تحت عنوان " مظفر النواب حياته و شعره " القى الكاتب الضوء على جوانب مهمة من شعره مشيراً الى استدعاء الموروث الديني و الاقتباس من آي الذكر الحكيم بشكل عابر و ثمة كتاب تحت عنوان" بناء السفينة دراسات في النص النوابي " الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة بداية ٢٠٠٩ م و قد اشار الكاتب محمد طالب الأسدي في بحثه عن اللغة الشعرية الى استدعاء الموروث الديني أو التداخل النصي أو تناسل النصوص و لم يتطرق الى التناص القرآني بشكل موسّع و اطلعنا على مقال في ايران نشر في مجلة الجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها عن جامعة تربيت مدرس بعنوان " بررسي درونمايه هاي شعر مظفر النواب " سنة ١٣٨٧ هـ ش العدد التاسع تناول الموضوعات الشعرية عند مظفر النواب مشيراً الى استخدام الشاعر آي الذكر الحكيم فقط , و بالتالي ندّعي في هذا المقال و حسب علمنا أننا اول من يتناول "التناص القرآني في شعر مظفر النواب" بشكل اوسع و مستقل مبيّنين بعض أهم مظاهره الفنية و الجمالية من خلال الايحاءات و الدلالات التي اكتسبها النص من خلال توظيف التناص القرآني في شعر مظفر النواب .

وأخذ النواب رغم موهبته المثيرة للانتباه في وقت مبكر يحاذي قصيدة الرواد فكان تأثير واضحاً في مجموعاته الأولى: "الريل و حمد و المساورة أ/ام الباب الثاني و الحركة الأولى و الثاني و .." .

انتمى النواب للحزب الشيوعي منذ ايام الجامعة ، إذ وجدت الشيوعية في شعراء الأربعينيات والخمسينيات المحرومين والفقراء والمقموعين أرضاً خصبة لأفكارها، فلعبت دوراً كبيراً في فكره وإنتاجه الشعري، فحرص على التعبير عن انتمائه الحزبي من خلال ما أكده من إعجاب بشخصيات ماركسية ثورية ومنتمية للحزب الشيوعي مثل جيفارا ، وغيره.

وظل منتمياً لمبادئ الشيوعية و القومية الإنسانية رغم انفصاله حزبياً عنه ، محتملاً في سبيله السجن والمنفى والملاحقة. وضد ممارسات الشيوعية التي ترى في حل إشكالية القومية بأن تباد قوميات من أجل إحياء قومية، وضد التسلط بجميع أشكاله، لذا فقد عبر عن ارتياحه لانهيار

الاتحاد السوفياتي الذي يرى أنه كان وراء إجهاض التجارب الاشتراكية، مستخدماً الجيش الأحمر، وبخاصة في عدن أكبر معتقل عربي اشتراكي.

ويعدّ انضمامه للحزب الشيوعي سبباً في النقمة التي حلت عليه متخذة أشكالاً عدة كان أبرزها: حكم الإعدام كما ذكرنا الذي نجا منه بأعجوبة، وعمليات الملاحقة والمطاردة التي يتعرض لها من منفى إلى آخر، إلا إنه وعلى الرغم من ذلك بات يرى رحلة المنافي التي بدأها منذ الستينيات حتى يومنا هذا، رؤية إيجابية، فأصبحت الرحلة هي الحياة الطبيعية له. وتخلص من شعور البكائية الذي ينتاب المنفيين، وساعدته في التحرر من رتابة المشهد وأسر الموضوع الواحد في شعره، لذا لم يعد الوطن يمثل له أرضاً فحسب، وإنما الوطن الذي ينتمي إليه هو ملكوت الحرية، على حد تعبيره، حتى أصبح المنفى بصورة من الصور اختياراً قادراً على تحقيق الحرية في مسيرته الشعرية.

ونظراً لتميز أعماله الإبداعية فقد كرم من جهات رسمية في سوريا و بعض مراكز الأبحاث . ويمتاز النواب بغزارة الإنتاج فوصل إنتاجه إلى مجموعة كاملة ضخمة بالإضافة الى شعره الذي لم يطبع . عاش تجربة الدفاع عن الحرية السياسية والحزبية في دواوينه بوصفه شاعراً ثورياً يدافع عن المناضلين أينما كانوا. وعاش مرحلة التغني بالوطن من ديار الغربة في دواوينه:

وتجلى النواب شاعراً ثورياً مناضلاً في حركة التحرير الفلسطينية في دواوينه بدأها في "قصيدة القدس و لا زال يتغنى بها. .

ومع أن الدراسة سوف تنصب على أعماله الشعرية فقط، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى تنوع تجربته الإبداعية، التي كانت سبباً في غزارة الإنتاج وقدرته على متابعة مسيرته الأدبية حتى الآن، فقد كتب إضافة إلى الشعر مسرحيات شعرية، ومجموعة قصصية ورواية ونصوصاً متفرقة، ومذكرات. وهو منذ ما يقارب الخمسة عقود، مطلق التجريب لا يكرر نفسه في أعماله، وقد سعى في محاولات جادة لمسرحة القصيدة.

وقد ساعده في تنوع تجربته الأدبية تنوع مصادره الشعرية القديمة والحديثة، فمنذ صغره كان قارئاً نهماً، اهتم بدراسة علوم اللغة وعلم النفس والاجتماع، والفلسفة، ونظريات الأدب، كما أفاد من المصادر الشعرية القديمة، وبالأخص دواوين الشعر الجاهلي وتحديداً شعر امرئ القيس، لذا نراه في أكثر من محفل يردّ مرجعيته الشعرية إلى قوتها الجاهلية، فأخذ على عاتقه حمل رسالة امرئ القيس

في الحرية واللغة والقيم، والعلاقة بالطبيعة، ومحسوسيته للحياة اليومية والمكان، وظهر أثر ذلك في شعره من حيث اهتمامه بالمكان واليومي المألوف للحياة المعاصرة. ومن االمعاصرين يحب بشكل العام القصائد الجيدة و يقرأ لجميع الشعراء مثل السياب و محمود درويش و ..

ولا يفوتنا أن نذكر انفتاحه على العالم الواسع بحكم تجربته السياسية وتنقلاته المستمرة فقد أسهم ذلك في تشكيل ثقافته ورؤيته الشعرية، ونذكر تأثره بالشعر التركي، والإسباني، واليوناني، والإيطالي، والفرنسي وغيرهم.

وتتحدد مواقف الشاعر الفكرية من خلال رؤيته للقضايا الاجتماعية والسياسية والإنسانية والوجودية، فيرى ضرورة النضال من أجل تحقيق حرية الإنسان. واتسعت رؤيته لكي تستوعب قضايا التحرر العربي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والثورة الجزائرية، كما يرى ضرورة الثورة على الظلم بجميع أشكاله، فقد تجسد موقفه من الظلم عندما حرمه نظام الحكم السائد في العراق من متابعة تعليمه في قسم الدراسات العليا نظراً لمواقفه الأيديولوجية المناهضة للنظام السياسي. ويتحدد موقفه من الشعر بأن الفن لا يدع الأمور تتمتع برخاء طبيعتها، لذا فهو يسعى لأن يغير من تلك الطبيعة فيخلط الأشياء ويشوشها صابّاً اهتمامه على المشهد اليومي بتفاصيله الدقيقة في محاولة لإعادة تركيبه، وأخذ يتحرك بالمألوف من الأشياء يهضمها ثم يولد منها شعراً.

ولعل من أسباب نزوعه نحو المحسوس تعدد مواهبه الفنية وإتقانه لفن الرسم، والتصوير الفوتوغرافي، فجاءت تجربته الشعرية مشبعة بموسيقى المكان والزمان والذات، حتى إن الفوتوغرافي، فجاءت تجربته الشعرية مشبعة بموسيقى المكان والزمان والذات، حتى إن قصائده علاوة على أنها تقرأ فهي "تسمع وترى ، لما لتوظيف الفنون بمختلف أنماطها من موسيقى ورسم ومسرح وسينما، من أثر واضح على تجربته الشعرية كما سنلاحظ لاحقاً.

ويسعى النواب إلى البقاء في حركية فنية دائمة نحو التجريب والنواب شاعر حياة ومؤرخ للحظة التوتر فيها، كما أن المواضيع لديه لا تنتهي ما دام يؤمن برسالة الشعر التي ترى أن الإنسان أثمن رأس مال، فدعا إلى تمجيده والعمل من أجل سعادته أينما كان. وكما ارتبط النضال الثوري عنده بما كان يجري في فلسطين والجزائر، ارتبط كذلك بما كان يجري في غواتيمالا وكوبا وغيرهما، فطالب بالعدالة وأدان الاستغلال والاضطهاد والحكم الرجعي المتحالف مع الاستعمار في كل أنحاء